حذف الصّوائت القصيرة في ضوء الاقتصاد الألسني
ـ دراسة في شواذ القراءات و اللّهجات ـ

الدكتور/عمر بوبقار.
جامعة ورقلة

الصوائت أو المصوتات القصيرة، هي ما يعرف بالحركات، وهي الفتحة والكسرة والضمة، وقد درجت العربية في بعض لهجاتها على حذف وتقصير تلك المصوتات، والاستعاضة عنها بالسكون.

إنّ هذا الاتجاه من تحريك الصائت إلى تسكينه من شأنه أن يسهم توفير الجهد العضلي الذي ما فتئ جهاز النطق يبذله، وفي اقتصاد الزمن؛ فقد استقر أنّ زمن إنتاج الصائت في السلسة الكلامية، أطول من زمن السكون. وذلك يندرج ضمن "الاقتصاد اللغوي" أو الألسني الذي يعني:« بذل أدنى جهد و تحقيق أكبر منفعة» أو كما يسميه "ديسوسير":« قانون الجهد الأقل»[i] والذي هو محاولة « تحقيق حد أعلى من الأثر بحد أدنى من الجهد، و هذا هو السبب في أنّ المتكلمين يحاولون أن يتجنبوا التحركات النطقية التي يمكن الاستغناء عنها»[ii].

كما يسهم هذا التسكين أو حذف الحركة في تحقيق سرعة الأداء، الذي هو خصيصة لهجية بدوية، يقول أحمد طه حسانين سلطان:« من مظاهر التغيير في أصوات الكلمة العربية حذف بعض الصوائت منها، لعلة قامت في نفوس العرب وأذهانهم ممن جُبلوا على الإسراع في النطق والأداء اللغوي، ليحققوا من ذلك هدفا معينا، وهو في أغلب الأحيان التّخفف من عبء تلك الحركة، فيلجئون إلى طرحها من كلامهم دون قصد منهم إلى ذلك، لأنه شيء اعتادوه، وجرت عليه طبائعهم، وصار كأنه فطرة لهم ، وسليقة عندهم»[iii].

ثمّ إنّ "التّسكين" يفسر ميلَ النّاطق إلى اِلتماس بعض الخفة في الكلام؛ إذِ الحركة أثقل من السكون، بل إنّ« نطق الحركات أصعب بكثير من نطق الأصوات الصامتة»[iv].

وقد جاءت بعض القراءات الشاذة مجسدة لهذه الظاهرة، إذ نجدها تحذف المصوت القصير، الذي جاءت به قراءة الجمهور، سواء أكان ضمة أم كسرة أم فتحة فتجعله سكونا، وسواء أكان ذلك الصائت جزءا من بنية الكلمة أم صائت إعراب (حركة إعراب).

1) حذف الصائت الذي هو جزء من بنية الكلمة:

أ. حذف الضمة:

الضمّ أثقل الصوائت القصيرة، وقد لجأت بعض اللهجات إلى حذفه، فرارا من ثقله، العيّنات القراءات الشاذة، التي خففته، نذكر :

↓رُسُلِكَ↑[آل عمران:194]،"رُسُل" على وزن "فُعُل" بضم العين وهي قراءة العامة، قرأ الأعمش:[v]"رُسْلِك" بإسكان "السّين" على وزن (فُعْل).

↓بِرُسُلِي↑[المائدة:12]، قراءة الجمهور بضم السين وقرأ الحسن[vi]، بتسكينها، حيث تَخلَّص من ثقل الضّم، طلبا للتخفيف.

MOKARABAT

↓**دُبُرَهُ**↑[الأنفال:16]، قراءة الحسن[vii] "دُبْره" بسكون الباء، تخفيفا وذكر "العكبري" أنّ "دُبُ ْره" « بضم الباء وإسكانها لغتان»[viii].

↓**لِلْكُتُبِ**↑[الأنبياء:104] قرأ الأعمش[ix]:"للكُتْب" بسكون التاء، وقراءة العامة بضمّها.

↓**عُمُرًا**↑ [يونس:16] قراءة الجمهور بضم العين والميم، وقرأ الأعمش[x]والحسن والخفاف وعبيد واللؤلؤي، بضم "العين" وسكون "الميم" لأجل التخفيف، وذكر العكبري أنهما لغتان[xi].

↓**زُبُرِ**↑[الشعراء:196]الجمهور على ضم الباء من "زُبُر" على زنة "فُعُل" وقرأ الأعمش[xii]،(زُبْر) بتسكين الباء على وزن(فُعْل) بتسكين العين.يقول "أبوحيّان": « والأصل الضّم»[xiii].

↓ **حُمُرٌ**↑ [المدثر:50] قراءة الجماعة بضم "الميم" من "حُمُر" وقرأ الأعمش[xiv] بتسكينها.

إن القراءات السالفة قد جاءت على وزن"فُعُل" بضمتين متتابعتين وهي تفيد "الجمع" أو العدد الكثير، يقول"سيبويه":« فإذا أردت أكثر العدد بنيته على(فُعُل)، وذلك:حِمَارٌ وحُمُرٌ، وإزار وأُزُرٌ وفراشٌ وفُرُشٌ، وإن شئت خففت جميع هذا في لغة تميم»[xv].

وقد جاءت القراءات الشاذة على وزن(فُعْل) بسكون العين، وهي قراءات جنحت إلى الفرار من ثقل الصائت القصير:"الضم"، الذي يعد أثقل الصوائت، وذلك بأن حذفته وسكّنَت الصامت الذي كان مشكلا به، وإذا كان الضم ثقيلا، فكيف هي الحال وقد تتابعت ضمتان، لعل الأمر يصبح كمن جمع ثقلا إلى ثقل، ومشقةً إلى مشقةٍ، فشق ذلك على جهاز النطق بأن بذل جهدا عضليا مضاعفا، ومن ثَمّ توسل طريقة يتخلص بوساطتها من ذلك الثقل، وهذه المشقة، فكان حذف المصوت القصير من "عين" تلك الكلمات ثم تسكينها، فحقق بذلك الخفة المتوخاة، لأنّ«الساكن أخف من المتحرك»[xvi].

وقد بحث"سيبويه"هذه الظاهرة اللّهجية، التي يُتخلَّص فيها من الصائت القصير، لثقله تحت باب« ما يسكن استخفافا وهو في الأصل متحرك»[xvii] وقد بين أنّ الضّمتين إذا تتابعتا فإنّ بكرا بن وائل وناسا كثيرين من تميم يخففون« كرهوا ذلك كما يكرهون الواوين، فكما تُكره الواوان تُكره الضمتان، لأنّ الضمة من الواو وذلك قولك:"الرُّسْل"، والطُّنْب والعُنْق، تريد:الرُسُل والطُّنُب والعُنُق»[xviii]ويُفهم من كلام "سيبويه"، أنّ التحريك أو الضم هنا، هو الأصل أي النطق الثقيل لتلك الكلمات، وأنّ أهل التخفيف هنا هم من القبائل المتبدية أو البدوية، ذلك لأنّه يحقق لهم سرعة النطق التي هي من خصائصهم، وقد كرهت العرب توالي الضّمتين مثلما كرهت توالي الواوين لأنّ الضمة من الواو أو مبدأ الواو، ولا يخفى ما في ذلك التوالي من ثقل.

ومما توالت فيه الضمتان، وجاء على وزن "فُعُلاَت"، فأُسْكِنت "عينُه" في القراءة الشّاذة نذكر:

↓**الحُرُمَات**↑ [البقرة:194] قراءة الجمهور بضم الحاء والراء، وقرأ الحسن بن أبي الحسن[xix] بضم "الحاء" وتسكين "الراء" على وزن "فُعْلات" الذي مفرده "فُعْلة" بسكون "العين" ومن ثَمَّ كان الجمع بسكونها هو الأصل، فمفرد (**الحُرُمَات**) "حُرْمَة" بسكون الراء، يقول النحاس:« ويجوز فتح الراء وإسكانها»[xx]، ويقول "المبرد":« فإن كان الاسم على وزن "فُعْلَه" ففيه ثلاثة أوجه:إن شئت قلت:"فُعُلات"، وأتبعت الضمةَ الضمّةَ...وإن شئت جمعته على

MOKARABAT

"فَعْلات"، فأبدلت من الضمة الفتحة لخفتها، وإن شئت أسكنت فقلت:فُعْلات، كما تقول في عَضُد، عَضْد، وفي رُسُل: رُسْل...» [xxi].

إنّ جمع فُعْلة على فُعُلات، وإن كان جائزا وهو على قراءة الجمهور، داخل تحت ظاهرة الإتباع، أي المماثلة بين الصوائت، بإتباع الضمّة الضمّة، فإنّ مِنَ العرب، مَنْ كره تتابع الضمتين، فحذف الثانية استخفافا.

ب . حذف الكسر:

الكسرة أقل ثقلا من الضمة، أي أخف منها، إلاّ أنها لم تَسْلَم من الحذف، ما دام فيها بعض الثّقل، أو خفة أقل من خفة الفتحة، التي هي أخف الصوائت، ومادام نظام اللغة يجنح إلى التخفيف فلا مناص من أن يُلتَمَس ذلك في الساكن، الذي هو عَدْم الحركة، فكان حذف صائت الكسر وإحلال السكون محله، ومن القراءات التي حُذِف فيها الكسر، نذكر :

↓ كَلِمَةٍ↑ [آل عمران:64] جمهور القراء على فتح "الكاف" وكسر "اللام"، وقرأ أبو السمال[xxii]:"كَلْمة" بفتح "الكاف" وسكون "اللام" فرارا من ثقل الكسر، إلى خفة السكون.

وقد جاء الكسر بين فتحتين، أي وقع في الكلمة ثقلٌ بين خِفَّتَيْن؛ ثقل الكسر بين خفة صائت الفتح، في الكاف وخفة صائت الفتح في الميم، وكأنّهم كرهوا الانتقال من خفة إلى ثقل إلى خفة، فآثروا الانتقال من خفيف؛ هو الفتح إلى أخف وهو السكون، ثم إلى خفيف بعده هو الفتح.

فيكون العمل من وجه واحد، وهو الخفة مبتدأً ومنتهًى، وقرأ أبو السمال[xxiii] أيضا:"كِلْمَة" بكسر الكاف، وسكون اللام، جاء في لسان العرب:« وتميم تقول هي: "كِلْمَةٌ" بكسر الكاف، وحكى "الفراء" فيها ثلاث لغات:كَلِمَة وكِلْمَة وكَلْمَة، مثل كَبِد وكِبْدٍ وكَبْد، و وَرَق و وِرْق ووَرْق..والكِلْمة لغة تميمية والكَلِمَة:اللفظة، حجازية...» [xxiv].

وفي القراءة الثانية "كِلِمَة"؛ تتابعت كسرتان فكرهوا ذلك، فحُذفت الكسرة الثانية للتخفيف، وقد أشار "سيبويه" إلى أنّ العرب تكره تتابع الكسرتين فيقول:« وكذلك الكسرتان تكرهان عند هؤلاء[xxv] كما تكره الياءان في مواضع، وإنما الكسرة من الياء، فكرهوا الكسرتين كما تُكره "الياءان" وذلك في قولك في إِبِل:إِبْلٌ» [xxvi].

ومما سلف يتبيّن أنّ حذف الصائت، لغة تميمية، أما إبقاؤه، فهو لهجة حجازية.

↓ لُعِنُوا↑[المائدة:64] قراءة الجمهور بضم اللام وكسر العين من(لُعِنُوا) وأمّا قراءة أبي السّمال، فهي[xxvii]:(لُعْنوا)؛بضم اللام وتسكين العين، وقد علل"ابن عطيّة" هذه القراءة، بقوله:« وذلك قُصِد للتخفيف لاسيما هنا الهبوط من ضمة إلى كسرة »[xxviii].

لا شك أنّ الانتقال من ضم إلى كسر، فيه ثقل وهذا ما يستفاد من كلام "ابن عطيّة"، ومن ثَمَّ جاء حذف الصائت القصير(الكسرة)، لأجل التخفيف، يقول العكبري:« **↓ لُعِنُوا↑** . بكسر العين . وأسكنها قومٌ . على التّخفيف، كما تقول في "ضُرِب:ضُرْبَ"»[xxix]، وقد حَسّن"أبو حيّان"هذه القراءة؛ لأنّ الكسرة جاءت بين ضمّتين، ومن ثَمّ حَسُنَ التّخفيف[xxx].

ج . حذف الفتح:

MOKARABAT

الفتح أخف الصوائت القصيرة:(الفتح والكسر والضم)، كما أنّ الألف أخفّ الصوائت الطويلة:(الألف والياء والألف)، وعلى الرغم من خفة هذا الصائت القصير(الفتح) إلا أنه لم يَعْدَم مَن يَحذِفُه، ويُحِلّ السكونَ مَحلَّه، فقد يكون ذلك مبالغة في التخفيف، أو فرارا من توالي الصوائت القصيرة، أو الحركات.

ولخفة الفتح وجدنا من القدماء من ينكر حذفه، فيقول:« وأمّا ما توالت فيه الفتحتان فإنّهم لا يسكنون منه، لأنّ الفتح أخفُّ عليهم من الضّمِّ والكسر، كما أنَ الألف أخفُّ من الواو والياء...وذلك نحو: جَمَل وحَمَل ونحو ذلك»[xxxi].

ولا يقتصر الأمر على الفتح الذي هو جزء من بنية الكلمة، وإنّما يتعداه إلى الفتح الذي هو علامة إعرابية، دالّة على النصب، إذ أجازوا اختلاس حركتيْ الضّمِّ والكسر، الدّالتين على الرفع والجر، ومنعوا ذلك في الفتح؛ الدال على النصب، يقول"سيبويه"، عند حديثة عن اختلاس الحركات:« ولا يكون هذا في النصب، لأنّ الفتح أخفُّ عليهم كما لم يحذفوا الألف حيث حذفوا الياءات.. »[xxxii].

وقد ذكر "ابن جني" أنّ حذف الفتح قد جاء عن العرب؛ في نحو:"سَلْفَ"، في: سَلَفَ[xxxiii]، ثم وجدناه يَعُدُّ ذلك من الشاذّ؛ وذلك لخفّة الفتح[xxxiv].

ومن القراءات التي حذفت الفتح تخفيفا، نذكر:

↓**أَمَنَـةً**↑ [آل عمـران:154] و[الأنفـال:11]، قـراءة الجمهـور "أَمَنَـة" بفـتح المـيم، وقـرأ ابـن محصـين والنخعي[xxxv] بسكونها:(أَمْنَة) يقول"ابن جني":« لا يجوز أن يكون (أَمْنَة) مخففا من (أَمَنَة) كقراءة الجماعة، من قِبَل أنَّ المفتوح في نحو هذا لا يُسَكَّن كما يُسَكَّن المضموم في[xxxvi] المكسور لخفّة الفتحة...»[xxxvii]، وقد ذكر "ابن عطيّة" بأنّ « فتح الميم أفصح »[xxxviii].

↓ **يَبَسًـا** ↑ [طـه:77] الجمهـور علـى فـتح البـاء في (يَبَسًـا) وقـرأ الحسـن[xxxix](يَبْسًـا) بسـكون البـاء يقـول "الزّمخشري":« لا يخلو اليَبْس من أن يكون مخففا من اليَبَس أو صفة على "فَعْل"، أو جمع يابس كصاحب وصَحْب، وُصف به الواحد تأكيدا...»[xl].

↓ **قَمَرًا**↑[الفرقان:61] قراءة الجمهور(قمرا) بفتح الميم، وقرأ الأعمش وعصمة والحسن[xli](قَمْرًا) بسكون الميم، يقول العكبري:« يقرأ بإسكان الميم، وضم القاف، وبفتحها، مع سكون الميم والأشبه أنّها لغات...»[xlii].

مما لا ريب فيه أنّ حذف الفتح إنّما كان لأجل التخفيف، على الرغم من عدم تجويزه من قِبَل بعضهم بحجة:أن الفتح أخف الحركات ومن ثَمّ فلا حاجة إلى تخفيفه، ولعل الذي دعاهم إلى ذلك، هو شغفهم بالتخفيف فألجأهم ذلك إلى المبالغة فيه، بأن خففوا الخفيف أضف إلى ذلك، أن من هذه الكلمات ما توالى فيها أربع حركات، مثل(أَمَنَةً) و(قَمَرًا)، إذا وضعنا قي الحسبان حركة الواو قبل(قَمَرًا) ولعل هذا التوالي في الحركات هو ما جعلهم يحذفون صائت الفتح كراهة ذلك التوالي وهذا ما ذكره "سيبويه" إذ يقول:«أنهم كرهوا أن يتوالى في كلامهم في كلمة واحدة أربع متحركات، أو خمس ليس فيهن ساكن نحو ضربكن»[xliii].

↓ **النَّعَم** ↑[المائدة:95]قراءة الجمهور بفتح العين وقرأها الحسن[xliv]بتسكينه، يقول "أبو حيّان":« سكن العين تخفيفا، كما قالوا"الشعر"»[xlv]وذكر"ابن عطيّة":أنّه لغة[xlvi].

MOKARABAT

يقول العكبري:«يُقرأ ـ بسكون العين ـ وهو بعيد، والأشبه:أن يكون لغة شاذة، ولا يَحسن أن يقال: إنّه خفّف؛ لأنّ المفتوح لا يُخفّف بالإسكان»[xlvii].

وقد قرر بعض المحدثين أن حذف الصائت« جاء نتيجة توالي الصوائت سواء، أكانت هذه الصوائت في اسم أم في فعل، وسواء في كلمة أم في كلمتين وسواء كانت متماثلة نحو "الـدَّرَك ـ خُطُوَات" أم مختلفة نحو" رَجُل ـ فَنَظِرَة"»[xlviii].

إن حذف الفتح لم يكن خاصا بالقراءات الشاذة، بل نجد له أثرا في ما تواتر من القراءات، مما يعني أنّ هذه الظاهرة الصوتية(حذف الفتح)جائزة في الاستعمال اللغوي، ذلك أنّ الفتح ـ وإن كان خفيفا فإنّه إذا اجتمع مع أمثاله قد يصبح مستثقلا، فيُلجَأ إلى ما هو أخف منه بوساطة الحذف وإحلال السكون محلّه[xlix].

وفي الأخير،إنّ تَـرَاوُحَ الصوائت بين الإثبات في النطق والحذف، وثيق الصلة بتعدد اللهجات؛ فالقبائل الحجازية المتحضّرة، لا تتخلص من الصوائت؛ لأنّ ذلك ينسجم وخاصية التؤدة والأناة، التي يتسم بها كلامهم، وأما القبائل البدوية، من مثل تميم وبكر بن وائل وغيرهما فتتلخص من الصوائت القصيرة بالحذف، وتخفف ما أمكنها التخفيف ولو كان ذلك بحذف أخف الصوائت، رغبة فيما أخف منه، وذلك يحقق لهم ـ إلى جانب الاقتصاد في الجهد العضلي ـ السرعةَ في النّطق التي هي ميزة من مميزاتهم.

وقد ربط بعض الباحثين بين طبيعة حياة وصفة السرعة التي يتّسم بها نطقهم، فيقول:« حياة البدو القائمة على التّرحال، حياة فيها القلق والعجلة، وعادة المتعجّل أن يترك بعض أشيائه وأن يتخفف من بعض أثقاله، ومن ثَمّ كانت السرعة في النطق سمه بارزة في اللهجات البدوية»[l].

2. حذف صائت الإعراب (حذف حركة الإعراب):

رأينا أنّ حذف الصائت الذي هو جزء من بنية الكلمة، هو خاصية نطقية، طبعت اللغة العربية، وقد تجلى ذلك في بعض لهجاتها وفي القرآن الكريم بقراءاته، ولم يكن ذلك التخلص من الحركة، إلاّ طلبا للخفة، وجريا وراءها واقتفاء لآثارها وسبلها، وذلك بالاقتصاد في الجهد العضلي، الذي ما فتئ جهاز النطق يبذله.

وإذا كانت هذه هي الحال مع الحركة التي هي جزء من بنية الكلمة، فكيف هي الحال مع حركة الإعراب؟؟ التي يُلبسها نظام اللغة ثوبا من القداسة، و يهيب بالناطق التزامَها، وألاّ يقبل إلغاءها، مادامت ركنَ الأركان وعمود الأعمدة، ضمن أركان وأعمدة النظام اللغوي؟ ومن ثَمَّ يُنظر إلى التخلّص منها؛ حذفا أو اختلاسا، على أنّه تقويض لذلك النظام، وإصابة للعربية في مقتل؛ إذِ الإعراب، متمثلا في الحركة، سر جمال اللغة وماء حياتها وضامن بقائها متكشفةَ المعاني، ساطعة البيان.

على الرغم مما سبق وجدنا حذف الصائت الإعرابي، من وجهة النظر الصوتية، وإحلال السكون محله، ذلك لأجل التّخفف أو بحثا عن الخفة، الّتي أصبحت مضمارا تتبارى فيه اللغات، وربما عُدَ ذلك الحذف أو التخلص من الحركة الإعرابية، من باب اختلاس الحركة؛ أي النطق بها سريعةً، بالإتيان بثلثها، وذلك وفق مبدأ أخف الضررين، إذ ليس الأمر تخلصا صِرفا من الحركة، بل على الأقل اجتزاءٌ منها وإتيانٌ ببعضها.

ومن القراءات الشاذة، التي حذفت صائت الإعراب أو اختلسته طلبا للخفّة، نذكر:

MOKARABAT

↓ **يَلْعَنُهُمُ**↑ [البقرة:159] قراءة الجمهور (يلعنُهم) بضم النون، وقرأ ابن محيصن بسكونها للتخفيف، وروي عنه اختلاس الضمة[li] والذي دعا "ابن محيصن" إلى التخفيف، هو توالي الحركات[lii]الذي يُعد عندهم من الكراهات، فكان تسكينُ النون محقِّقا للتخفيف، ومخلِّصا من توالي الحركات.

وأمّا اختلاس الضمة، فهو الإتيان بها سريعة، بأن يُنطق ثلثُها، وذلك يحقق سرعة النطق، الذي هو هنا انعكاس لسرعة الفرار من الحركات المتوالية، ويحقق اقتصادا في الجهد العضلي وفي الزمن، ذلك أنّ زمن الحركة المختلسة أقل من زمن الحركة غير المختلسة.

↓**وَيُحَذِرُكُمُ**↑[آل عمران:28] قرأ ابن محيصن بإسكان "الرّاء" من الفعل "يحذَرُكم" كما رُويَ عنه اختلاس ضمة الراء[liii]. وسواء أكانت قراءته بحذف صائت الضم أم باختلاسه فإنّما كان ذلك لأجل التخفيف، وبخاصة مع توالي ثلاث حركات.

↓ **يَعِدُهُمُ**... **يَعِدُهُمُ** ↑ [النساء:120] القراءة التي عليها العامة، بضم "الدال" في الفعل (يعدهم) في الموضعين من الآية، وقرأ الأعمش وابن محيصن[liv]:"يَعِدْهم" بتسكين الدال فيهما، وذلك تخفيفا لتوالي الحركات[lv]، وهي أربع حركات هنا؛ فتحتان وضمتان. ـَ + ـَ +ـُ + ـُ فتصبح ـَ + ـَ + ـْ + ـُ والصيغة الثانية أخف من الأولى، لأجل التخلص من ثقل الضم وتتابع الحركات، يقول العكبري:« وقرأ الأعمش بسكون الدال، وذلك تخفيف لكثرة الحركات»[lvi].

↓ **نَذَرُهُمْ**↑[الأنعام:110] قرأ الحسن وأبو رجاء وقتادة والأعمش[lvii]:(ويَذَرْهم) بالياء وجزم الراء تخفيفا[lviii]، وفي هذه القراءة تم حذف الصائت القصير"الضمة"، طلبا للتخفيف، حيث كرهوا توالي الحركات، وهو هنا أربع حركات؛ فتحتان وضمتان.

ونشير إلى أن التّخفف من حركة الإعراب، بحذفها وإحلال السّاكن محلها، ليس قصرا على القراءات الشاذة، بل نجد له نماذج في القراءة المشهورة أو الّتي عليها العامة، من ذلك قراءة أبي عمرو بن العلاء:↓ **فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ**↑ [البقرة:54] باختلاس حركة الهمزة[lix] وكذلك قراءته، لقوله عز وجل:↓ **و مَا يُشْعِرُكُمْ** ↑ [الأنعام:109] بسكون الراء[lx]، وقد أشار"سيبويه" إلى وجود هذه الظاهرة في الشّعر فيقول:« وقد يجوز أن يسكنوا الحرف المرفوع و المجرور في الشعر، شبهوا ذلك بكسرة فَخِذ حيث حذفوا فقالوا: فَخْذ، وبضمة عَضُد حيث حذفوا فقالوا: عَضْد لأن الرفعة ضمة والجرة كسرة...وقد يسكن بعضهم في الشعر ويُشِمُ، وذلك قول امرئ القيس:

فاليومَ أشْرَبْ غيرَ مُسْتَحقِبٍ * إثْمًا مِنَ اللهِ ولا واغلِ.» [lxi]

إنّ الإتيان بحركات الإعراب هو يعني نوعا من التثقيل في مقابل التخفيف الذي هو حذف للحركة، وبخاصة إذا توالت الحركات، يقول ابن جني:« أمّا التثقيل فلا سؤال عنه ولا فيه؛ لأنه استفاءُ واجبِ الإعراب لكن من حذف فعنه السؤال، وعلته توالي الحركات مع الضمّات، فيثقل ذلك عليهم فيخففون بإسكان حركة الإعراب، وعليه قراءة أبي عمرو "فتوبوا إلى بارئكم" فيمن رواه بسكون الهمزة..» [lxii].

إنّ ظاهرة التّخفف من حركة الإعراب، أو استفاؤها نطقا، أي الإتيان بالحركة كاملة دونما حذف أو اختلاس، له صلة باختلاف لهجات العرب، فتخفيف الصائت الإعرابي سمة لهجية خاصة بلغة تميم وأسد و بعض نجد، و بخاصة

MOKARABAT

عند«اجتماع ثلاث حركات ثقال من نوع واحد كـ↓ يَأْمُرُكُم↑ أو نوعين كـ↓بَارِئِكُم↑»[lxiii]أمّا تثقيله فهو لغة أهل الحجاز[lxiv].

هذا و لم تكن مواقف النحاة من هذه الظاهرة واحدة، فقد انقسموا بين قائل بجوازها؛ منهم الفراء وأبو علي الفارسي وابن مالك، وبين مجيز لها في الشعر والمنع في الاختيار ومنهم "سيبويه"، وهناك فريق ثالث مذهبه المنع في الشعر وغيره[lxv].

و في المحصّلة فإنّ ظاهرة حذف الصوائت القصيرة، لم يمتدّ تأثيرها إلى بنية الكلمات الدلالية فتسهم في تغيير دلالتها، بل إنّ الكلمات تبقى محافظة على دلالتها الأصلية بالرغم من ذلك الحذف، كما كان لها وطيد الصلة بتعدد لهجات العرب واختلاف عاداتهم النطقية، وقد وجدنا لها أثرا في القرآن الكريم بقراءاته، وهي تحقق الخفة و اليُسر في النطق، والاقتصاد في الجهد و الزمن؛ ذلك أنّ إنتاج الصوائت القصيرة أكثر جهدا من إنتاج السكون، وزمنها أطول من زمن إنتاجه، ولا شك أنّ هذا الجنوح إلى توفير الجهد الذي يبذل في النطق تؤيده الدراسات اللسانية الحديثة، لأنه يكاد يكون المنحى العام لكل اللغات، فهذا:"هويتني" Whiteney يرى أن« كل ما نكتشفه من تطور في اللغة، ليس إلا أمثلة، لنزعة اللغات إلى توفير المجهود الذي يبذل في النطق، وأنّ هناك استعدادا للاستغناء عن أجزاء الكلمات، التي لا يضر الاستغناء عنها، بدلالتها»[lxvi].

الإحالات

(i) . فردينا نده سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة، يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة ،الجزائر، د . ط ،1986م،ص:180.

(ii) . دراسة الصوت اللغوي.أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ، د . ط ، 1425 هـ /2004 م، ص:372.

(iii) . قراءة يحي بن وثاب في ضوء علم التشكيل الصوتي، القاهرة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط:01،1425هـ/ 2004م،ص:91.

(iv) . علم الأصوات، حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ط:01 ،1425هـ . 2004م، ص:112.

(v) . البحر المحيط في التفسير .محمد بن يوسف "أبو حيّان" الأندلسي الغرناطي، تحقيق:جماعة من العلماء، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت . لبنان، د . ط، 1412هـ/1992م،475/3.

(vi) . نفسه،203/4.

(vii) . الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.أبو القاسم جار الله محمود بن عمر "الزّمخشري"الخوارزمي، شرح وضبط ومراجعة:يوسف الحمادي، مكتبة مصر، مصر، د. ط، 245/2.

(viii) . إعراب القراءات الشواذ، العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله، تحقيق ضبط وتعليق:عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار السعادة للطباعة، مصر، ط:01 ، 1424هـ / 2003م، 306/1.

(ix) . البحر المحيط،472/7، و معجم القراءات عبد اللطيف الخطيب ، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق، ط:01 ، 1422هـ /2002م، 65/6.

(x) . يُنظر: معجم القراءات،515/3.

MOKARABAT

(xi) . إعراب القراءات الشواذ، 336/1.

(xii) . البحر المحيط، 189/8.

(xiii) . نفسه، 189/8.

(xiv) . البحر المحيط، 339/10 ومعجم القراءات،173/10.

(xv) . الكتاب.أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر "سيبويه"، تحقيق وشرح:عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، و دار الرفاعي، الرياض ، ط:02 ، 1402هـ / 1982م، 601/3.

(xvi) . يُنظر:خصائص اللغة العربية تفصيل وتحقيق، محمد حسن حسن جبل، دار الفكر العربي، القاهرة، د . ط . ت، ص:115.

(xvii) . الكتاب، 113/4.

(xviii) . نفسه، 114/4.

(xix) . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان،ط:01، 1422 هـ/ 2001م، 264/1، ومعجم القراءات، للخطيب،266/1.

(xx) . إعراب القرآن.ابن النحاس أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، تحقيق:عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:01، 1421هـ/2001م، 99/1.

(xxi) . المقتضب. أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ط:03 ، 1415هـ / 1994م، 186/2.

(xxii) . المحرر الوجيز، 449/1،448.

(xxiii) . نفسه،449/1،448.

(xxiv) . لسان العرب.ابن منظور، تحقيق:عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف،القاهرة، د.ط. ت، مادة:(كلم).

(xxv) . يقصد بكرا بن وائل وناسا كثيرين من تميم ، يُنظر: الكتاب،113/4.

(xxvi) . الكتاب، 115/4.

(xxvii) . المحرر الوجيز، 215/2.

(xxviii) . نفسه، 215/2.

(xxix) . إعراب القراءات الشواذ، 230/1.

(xxx) . البحر المحيط، 314/4.

(xxxi) . الكتاب، 115/4.

(xxxii) . الكتاب، 202/4.

(xxxiii) . ينظر، المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها . أبو الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق:محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط:01، 1419هـ/1998م،361/1.

(xxxiv) . نفسه، 388/1.

(xxxv) . المحتسب، 388/1 ، والمحرر الوجيز، 527/1 .

(xxxvi) . لعل الصّواب:المضموم و المكسور...

(xxxvii) . المحتسب، 388/1 .

(xxxviii) . المحرر الوجيز، 527/1.

(xxxix) . البحر المحيط، 362/7.

MOKARABAT

(xl) . الكشاف، 157/3.

(xli) . إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر. البناء الدمياطي، وضع حواشيه الشيخ أنس، دار الكتب العلمية، لبنان، ط:1427،03 هـ / 2006 م، ص:418، ومعجم القراءات للخطيب، 373/6.

(xlii) . إعراب القراءات الشواذ، 94/2 ،و يُنظر: الإتحاف، ص:418.

(xliii) . الكتاب، 202/4.

(xliv) . المحرر الوجيز، 238/2، والبحر المحيط، 365/4.

(xlv) . البحر المحيط، 365/4.

(xlvi) . المحرر الوجيز، 238/2 .

(xlvii) . إعراب القراءات الشّواذ،234/1.

(xlviii) . اللهجات العربية في القراءات القرآنية. عبده الراجحي،مكتبة المعارف للنشر و التوزيع، الرياض، 1420هـ /1999م.ص:187.

(xlix) . ينظر: القراءات الشاذة دراسة صوتية ودلالية.حمدي سلطان أحمد العدوي، تقديم: محمد حسن جبل ، و سامي عبد الفتاح، دار الصحابة، مصر، ط:01 ،1427هـ / 2006م، 534/2 .

(l) . اللهجات العربية في قراءات الكشاف، للزمخشري لعبد المنعم عبد الله حسن، ص:348 نقلا عن: القراءات الشاذة دراسة صوتية ودلالية، 501/2.

(li) . معجم القراءات، 222/1، والمُيَسَّر في القراءات في القراءات الأربع عشرة.محمد فهد خاروف، مراجعة:محمد كريم راجح، دار الكلم الطيب، دمشق . بيروت، ط:01، 1420هـ/2000م، ص:24.

(lii) . الميَسَّر في القراءات، ص:24.

(liii) . معجم القراءات، 473/1.

(liv) . البحر المحيط 73/4، إملاء ما منّ به الرحمان، ص:175. ومعجم القراءات، 160/2.

(lv) . يُنظر: البحر المحيط، 73/4.

(lvi) . إملاء ما مَنَّ به الرحمان، ص:175.

(lvii) . المحتسب 304/1. والبحر، 618/4.

(lviii) . يُنظر:التخريجات النحوية والصرفية لقراءة الأعمش ، سمير أحمد عبد الجواد، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، ط:01، 1411 هـ . 1991 م، ص:30.

(lix) . معجم القراءات، 100/1.

(lx) . معجم القراءات، 518/2.

(lxi) . الكتاب،204/4،203.

(lxii) . المحتسب، 195/1.

(lxiii) . إتحاف فضلاء البشر، ص:178.

(lxiv) . يُنظر: المحتسب، 198/1،195، و الإتحاف،ص:178، و معجم القراءات، 518/2.

(lxv) . يُنظر: البحر 334/1،333 و144/6. و معاني القرآن وإعرابه.الزجاج إسحاق بن إبراهيم السَّري، شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، لبنان ، ط:01، 1408هـ /1988م، 275/4، والمحتسب، 195/1 و ما بعدها، و التخريجات النحوية والصرفية لقراءة الأعمش، ص:32 وما بعدها.

(lxvi) .التطور اللغوي مظاهره و علله و قوانينه، رمضان عبد التواب،مكتبة الخانجي،القاهرة، ط:03، 1417هـ .1997م، ص:75

MOKARABAT